

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٣٧٩ : خ ١ - الإسراء ، خ ٢ - مجتمع النمل.  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-٠١-٣١

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي  
ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً  
بربوبيته وإرغاماً لمن جدد به وكفر . وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، رسول الله  
سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر . اللهم صلّ وسلم وبارك على  
سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين .

### استنباط الحقائق والأحداث من الإسراء والمعراج :

النبى عليه الصلاة والسلام يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ سمع سيدنا علياً كرم الله وجهه يدعو  
ويقول: " اللهم أغنني عن الناس . فقال عليه الصلاة والسلام : يا علي هل تعلم ما قلت ؟ قال :  
نعم ، دعوت الله ألا يجعلني محتاجاً لأحد . فقال عليه الصلاة والسلام : ذلك معناه أن تطلب  
الموت ، لأنك في الموت تستغني عن الناس ، وقد لا تستغني عن الناس إذا مت بل إنك محتاجٌ  
إليهم في دعائهم ، فقال سيدنا عليّ كرم الله وجهه : فماذا أقول إذاً يا رسول الله ؟ قال عليه  
الصلاة والسلام : قل اللهم أغنني عن شرار خلقك ، فقال سيدنا علي كرم الله وجهه : ومن هم يا  
رسول الله ؟ قال : الذين إذا أعطوا منوا ، وإذا منعوا عابوا" .

[كشف الخفاء عن علي]

هؤلاء شرار الخلق ادع الله أن يغنيك عنهم ، أما طبيعة الحياة البشرية ، وطبيعة الحياة  
الاجتماعية ، فجعلها متكاملةً فيما بين بني البشر .

أيها الأخوة الأكارم ؛ البارحة مرّت ذكرى الإسراء والمعراج ، ولاشك أن موضوع الخطبة اليوم  
حول الإسراء والمعراج ، أو في الإسراء والمعراج ، وقد قال لي أحدهم : إنه في حيرةٍ كبرى -  
وهو يخطب في أحد المساجد - كلّمًا جاءت المناسبات الدينية . قلت له : لماذا ؟ قال : لأن هذه  
الموضوعات نُعيدها كل عام منذ ثلاثين عاماً ، فأنا في حرجٍ وحيرةٍ حينما تأتي هذه المناسبات .  
قلت له : هناك فرقٌ بين الحدث وبين المعنى الذي يستنبط منه الحدّث ، فإذا أردت أن تعيد أحداث  
الإسراء والمعراج ، وأحداث الهجرة ، أحداث السيرة النبوية إعادةً ليس غير فمعك الحق أن تكون  
في حيرة ، ولكن إذا أردنا أن نستنبط من هذه الأحداث الحقائق والعبر فهذا شيءٌ آخر . .  
هناك ما يُسمّى بالأحداث التاريخية التي وقعت مرةً واحدة ، ولن تقع بعدها مرةً ثانية . وهناك ما  
يُسمّى بالسُنن التي سنّها الله لعباده ، فالحدث التاريخي شيء ، والحقبة المتكررة شيءٌ آخر ،

مثال ذلك : ربنا سبحانه وتعالى حينما حدثنا عن سيدنا يونس عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قال :

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة الأنبياء : ٨٧]

دخل في بطن الحوت ، فنادى في الظلمات ؛ في ظلمة بطن الحوت ، وفي ظلمة البحر ، وفي ظلمة الليل ، بربكم هل بعد هذه المصيبة من مصيبة ؟ في بطن الحوت ، وفي عمق البحر ، وفي ظلمة الليل ، هذه مصيبة . .

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ﴾

[سورة الأنبياء : ٨٧- ٨٨]

القصة انتهت ، الحدث التاريخي وقع مرة واحدة ولن يقع مرة ثانية انتهى ، لو أعدنا هذه القصة مئة مرة نشعر أننا في حيرة ، ليس فيها من جديد ، ولكن العظمة أن الله سبحانه وتعالى عَقَّبَ على هذه القصة بسنة ثابتة في خلقه . .

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنبياء : ٨٧- ٨٨]

القصة التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ أراد منها أن نستنبط القانون ، أن نستنبط العلاقة الثابتة ، أن نستنبط السنة الكونية ، الموعظة والعبرة لا في القصة بل في السنة الكونية ، لا في الحدث بل في القانون . فلذلك إذا مرَّت ذِكْرَى الإسراء والمعراج لمئة عام قادمة ، في كل عام نستنبط منها معاني وحقائق وسنناً كنا غافلين عنها في العام الماضي .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ مثال بسيط : لو أن أستاذاً كلما رأى طالباً من طلابه يعتدي على صديقه، ضربه ، وبقي الأستاذ ساكناً ، أليس في هذا الضرب الذي يترافق مع عدوان الطالب على زميله قانون ؟ أليس في هذا الضرب الذي يترافق مع عدوان الطالب مع زميله سنة ؟ حقيقة؟ يجب أن نستنبط أن سلوك المُدرِّس مع هذا الطالب له قانون ، له قاعدة ، فإما أن تستنبط القواعد والقوانين والسُنن من كلام الله مباشرة ، وإما أن تستنبطها من الأحداث ، والأكمل أن تجمع بينهما ، أن تقرأ القرآن ، وتستنبط القواعد الثابتة ، والعلل ، والأسباب والمسببات ، والمُقدمات والنتائج ، والقوانين والقواعد ، وإما أن تتأمل فيما يجري في الخلق ، أو أن تنظر كيف كان عاقبة المُكذِّبين ، إذا تتبعت أفعال الله عزَّ وجلَّ وجل تستنبط الحقائق ، وإذا قرأت كلام الله تستنبط الحقائق .

## عدم نجاح أية دعوة إلا بحماية داخلية و خارجية :

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ بادئ ذي بدء إذا كان موضوع الخطبة اليوم الإسراء والمعراج ، فليس معنى هذا أننا سنعيد على أسماعكم وقائع الإسراء والمعراج ، بل يهمننا السنن ، الحقائق ، المواعظ ، العبر ، القوانين ، هذه السنن تلقي ضوءاً على حياتنا ، نستفيد منها ؛ نستفيد منها في علاقتنا بربنا ، نستفيد منها في فهم حقيقة الأمور ، نستفيد منها في تفسير الوقائع ، نستفيد منها في آخرتنا .

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ الإسراء من أضخم أحداث الدعوة الإسلامية ، سبقته البعثة ، وجاءت من بعده الهجرة ، وهو بين البعثة والهجرة ، فهو بحق من أضخم أحداث الدعوة . أيها الأخوة ؛ أية دعوة لا تتجح إلا إذا كانت لها حماية ، والنبي عليه الصلاة والسلام لحكمة أرادها الله عز وجل هيأ له حمايتين : حمايةً داخليةً عن طريق السيدة خديجة ، الزوجة المخلصة ، التي كانت خير زوجة ، وهيأ الله له الحماية الخارجية عن طريق عمه أبي طالب ، الذي كانت له مكانةً عليّةً في قومه ، فكان بدافع القرابة وبدافع الحب يحمي ابن أخيه محمداً صلى الله عليه وسلم من خصومه وأعدائه .

ما الذي حصل ؟ في العام العاشر للهجرة توفيت السيدة خديجة ، ففقد الحماية الداخلية ، ومات عمه أبو طالب ففقد الحماية الخارجية ، ويُعدّ العام العاشر بحق عام الحزن . ويا أيها الأخوة الأكارم ؛ من سنن الله في خلقه أن الإنسان عليه أن يأخذ بالأسباب . .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْتَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا \* إِنَّا مَكَّنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ

شَيْءٍ سَبَبًا \* فَاتَّبِعْ سَبَبًا﴾

[ سورة الكهف : ٨٣-٥٨ ]

النبي عليه الصلاة والسلام في العام العاشر للبعثة توفيت زوجته ، وتوفّي عمه ، واشتدّ أذى قريش له ، وعبرت قرش عن أقصى ما عندها ، لذلك من باب الأخذ بالأسباب توجه عليه الصلاة والسلام إلى الطائف ، ومن عرف الطائف عرف المسافة بين الطائف ومكة ، ومن عرف الطائف عرف صعوبة الطريق إلى الطائف ، وكيف أن الطريق إلى الطائف من أعقد ومن أوعر الطرق . وسار إلى الطائف عليه الصلاة والسلام مشياً على قدميه ، يبتغي عند أهل الطائف النصرة ، ويبتغي عندهم أن يستجيبوا لدعوته .

لقد خيّبوا ظنه ، لقد كذبوه ، لقد اتهموه ، لقد سخروا منه ، لقد آذوه ، وإذا صحّ أن للدعوة الإسلامية خطأً بيانياً ، فقد وصل خط الدعوة الإسلامية في الطائف إلى النهاية الصغرى ، إلى عمق المنحدر ، ماذا فعل النبي عليه الصلاة والسلام ؟ في مثل هذه الحالة ليس له إلا أن يلجأ إلى الله عز وجل .

أيها الأخوة الأكارم ؛ هنا نقف وقفةً . الوقفة الأولى : أن على الإنسان أن يأخذ بالأسباب ، عليه أن يتحرك ، عليه أن يسعى ، وليس عليه إدراك النجاح ، عليه أن يتكلم ، عليه أن يتحرك ، عليه أن يقابل فلاناً ، عليه أن يكتب معروضاً ، عليه أن يمشي في الأرض ، أي لا بدّ من الحركة ، أما الانهزام ، أما الجمود ، أما القعود ، أما الاستسلام فليس هذا من صفات المؤمنين . النبي عليه الصلاة والسلام حينما ضاقت به السُّبُل ، وحينما تألب عليه كفّار قريش ، وحينما فقد الدعم الداخلي ، وحينما فقد الدعم الخارجي ، وحينما قست عليه قريش بأقصى ما يكون ، اتخذ الأسباب وتوجّه إلى الطائف . النبي عليه الصلاة والسلام في هذه المناسبة ، أو كاستنباطٍ من هذه الواقعة يقول :

**((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُلُومُ عَلَى الْعَجْزِ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَبَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))**

[أبو داود عن عوف بن مالك رضي الله عنه ]

الإنسان المؤمن بين أن يسعى ، وبين أن ينسحب وينهزم ، وبين أن يستسلم ، فإذا استسلمت قبل السعي فانت مؤاخذ ، وإذا غلبك أمرٌ بقضاء الله وقدره عندئذٍ استسلم . أيها الأخوة الأكارم ؛ لا أبالغ إذا قلت : إن أحد أسباب تخلف المسلمين هو عدم إدراكهم لهذه الحقيقة ، القعود لا يأتي بشيء ، حتى المسلم إذا قال : ليس هناك سُبُل للرزق ، وقعد ، فهو مؤاخذ ، لا بدّ من أن يتحرك ، لا بدّ من أن يسعى ، فلذلك :

**(( إِنْ اللَّهُ يُلُومُ عَلَى الْعَجْزِ ))**

[أبو داود عن عوف بن مالك ]

يلوم على أن تتسحب ، يلوم على أن تستكين ، يلوم على أن تشعر بأنك مقهور ، وأن ترضى بهذا الشعور ، يلوم على أن تقعد في طلب الرزق ، يلوم عن أن تتحرك ، يلومك ، ليس هذا من شأن المؤمن ، شأن المؤمن أن يسعى وعلى الله البقية ، عليك أن تتحرك وعلى الله التوفيق ، عليك أن تسعى وعلى الله أن ينيلك سؤلوك . فالنبي عليه الصلاة والسلام سعى ، ولكن أهل الطائف لم يستجيبوا ، ولم يؤمنوا ، ولم يرحبوا ، ولم ينصروا ، ولم يفعلوا شيئاً ؛ بل سخروا ، وكذبوا ، وآذوا ، وفعلوا كل شيء يؤذي مشاعر النبي عليه الصلاة والسلام :

**((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُلُومُ عَلَى الْعَجْزِ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَبَيْسِ - بالتدبير ، بالحركة ، بالسعي - فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ ))**

[أبو داود عن عوف بن مالك ]

## الأخذ بالأسباب ثم الرضا بالقضاء و القدر :

الآن . . بعد السعي إذا غُلبت فهذا قضاء الله وقدره ، بعد الأخذ بالأسباب إن لم تفلح ، فهذا هو القضاء والقدر ، فهذه هي مشيئة الله ، فهذه هي إرادة الله ، إياك أن تقل : هذه مشيئة الله ، وأنت قاعد . .

### ((إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا))

[ الطبراني عن ابن عباس ]

إياك أن تقل : هذا تدبير الله ، وأنت مستسلم ، إياك أن تقل : هكذا يريد الله ، وأنت جالس ، قل : هذه مشيئة الله ، قل : هذه إرادة الله ، قل : هذا ترتيب الله . ولكن بعد أن تسعى ، بعد أن تستنفذ الجهد ، بعد أن تبذل قُصارى جهدك ، بعد أن تأخذ بالأسباب ، بعد أن تفعل كل ما في يديك ، بعد أن تستنفذ كل الحيل ، إذا غلبك أمرُ الآن قل :

### ((حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

فهذا الذي يفعدُ عن الأخذ بالأسباب ، ثم تأتي الأمور على غير ما يريد ، ويقول : هذا قضاء الله وقدره ، وهذا ترتيب الله ، وهذه إرادته ، وهذه مشيئته . هذا الموقف ليس إسلامياً ، وهذا الموقف ليس إيمانياً ، وهذا الموقف لا يرضي الله عزَّ وجل ، وهذا الموقف هو سبب تأخر المسلمين . .

### ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾

[ سورة محمد : ٤ ]

أنت خليفة الله في الأرض ، حُمِلت الأمانة ، كُفِّتَ بأفعل ولا تفعل ، أعطاك الله منهجاً ، أعطاك الله أسباباً ، خذ بالأسباب ، إذا لا يُقبل من مؤمن أن يقول : الله قدرَّ عليّ ذلك ، وهذه مشيئة الله ، وهذه إرادته ، وهذا ترتيبه إلا إذا أخذ بكل الأسباب .

## إظهار حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم :

النبي عليه الصلاة والسلام بعد أن فقد المعين الداخلي بموت السيدة خديجة ، وبعد أن فقد المعين الخارجي بموت عمه أبي طالب ، وبعد أن تكالبت قريش على دعوته ، وبعد أن قست عليه أخذ بالأسباب ، وتوجّه إلى الطائف ، وهناك عرض عليهم نفسه ، وعرض عليهم دين الإسلام ، فأبوا ، وسخروا ، واستخفوا ، وكذبوا ، واتهموا ، وآذوا ، ماذا يفعل النبي الآن ؟ الآن الاستسلام ، الاستسلام مع الدعاء ، الآن التضرُّع ، وقف في الطائف موقفاً ، ودعا دعاءً ، هذا الدعاء فيه أعلى درجات العبودية لله عزَّ وجل ، دعاءً حبباً لو كان هذا الدعاء دعاءنا في كل أحوالنا ، الدعاء معروفٌ عندكم :

((اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت

رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ؟

إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل علي غضبك ، أو أن ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك))

[ الطبراني عن عبد الله بن جعفر ]

أراد الله سبحانه وتعالى أن يظهر حقيقة النبي عليه الصلاة والسلام ، أن يظهر الحقيقة المَحْمَدِيَّة ، أن يظهر مستوى هذا الإنسان الذي فاق البشر ، أراد الله عزَّ وجلَّ أن يعرفنا من هو محمدٌ عليه الصلاة والسلام ، لماذا اختاره الله نبياً ؟ ولماذا اختاره الله رسولاً ؟ ولماذا اختاره الله ليكون سيدَّ الأنبياء والمرسلين ؟ ولماذا اختاره الله ليكون المخلوق الأول في البشرية ؟ ولماذا قال عليه الصلاة والسلام :

(( سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوَسِيلَةُ ؟ قَالَ : أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، لَا يَنْأَلُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا ))

[ الترمذي عن أبي هريرة ]

لماذا كان النبي عليه الصلاة والسلام في أعلى درجات الكمال ؟ لأن جبريل عليه السلام جاءه وهو في هذه المحنة ، وهو في هذه الشدة ، وهو في هذا الضعف الشديد ، وهو في هذا الإيذاء الشديد ، وهو في النهاية الصغرى للخط البياني للدعوة الإسلامية ، قال :

(( إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ النَّخْشَبِينَ ))

[ متفق عليه عن عائشة ]

أي الجبلين . وأحدنا إذا غاظك إنسان بكلمة ، وتمكنت منه ، تتمنى أن تقطعه إرباً إرباً ، هؤلاء فعلوا كل شيء ، وبإمكان النبي عليه الصلاة والسلام لو قال : نعم أن يلغي وجودهم ، فما زاد عن أن لم يتخلَّ عنهم ، ودعا لهم ، واعتذر عنهم ، لم يتخلَّ عنهم قال : " اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون - عدم التخلي ، والدعاء ، والاعتذار - لعلَّ الله يخرج من أصلابهم من يوحده" .

## امتحان كل إنسان في المنع و العطاء :

وأنت ممتحن أيها الأخ الكريم ؛ ممتحن بالقوة ، ماذا تفعل بها ؟ تتشقى من خصومك ، ممتحن بالضعف ، ماذا تفعل ؟ تنهار ؟ تئس ؟ تقنط ؟ ممتحن بالمال ، أتفقّه في طاعة الله أم على شهواتك المنحرفة ؟ ممتحن بالفقر ، أتجمل ؟ أتصبر ؟ ممتحن بالذكاء ، أتستخدم هذا الذكاء لمعرفة الله ؟ لنشر الحق أم للإيقاع بين الناس ؟ ممتحن بالصحة ، ممتحن بالمرض ، كل شيء آتاك الله إياه أنت ممتحن به ، وكل شيء زواه الله عنك أنت ممتحن به . وقد امتحن النبي عليه الصلاة والسلام ونال الامتياز في الامتحان ، قال :

((اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ...))

[ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ]

(( بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ))

[ متفق عليه عن عائشة ]

هذا الدعاء الذي ترق له النفوس ، هذا الابتهاال ، هذا الإعلان عن عبودية الإنسان ، هذا الرجاء من الله عز وجل :

(( لکن عافيتک أوسع لي ))

هذا إعلان الضعف من قبل النبي عليه الصلاة والسلام ، هو أعلى درجات العبودية ، ما الذي حصل بعد هذا ؟ الذي حصل بعد هذا هو الإسراء والمعراج .

**الإسراء والمعراج هو التكریم الإلهي للنبي عليه الصلاة والسلام :**

كأن الله سبحانه وتعالى أراد بالإسراء والمعراج أن يمسخ آلام الماضي ، كأن الله سبحانه وتعالى أراد بالإسراء والمعراج أن يعرف النبي بمكانته عند الله ، كأن الله بالإسراء والمعراج أراد أن يعرف النبي عليه الصلاة والسلام بأنه سيد الأنبياء والمرسلين ، كأن الله بالإسراء والمعراج يقول للنبي عليه الصلاة والسلام : أنت دعوتني في الطائف ، وكنت في أشد حالات الضعف ، وأشد حالات القهر ، وأشد حالات الضيق ، وأنا سمعتك ، وهذه إجابتي لك .

فيا أيها الأخ الكريم ؛ إذا كنت في ضيق شديد ، الله يعلم هذا الضيق ؛ يعلم حجم هذا الضيق ، يعلم خطورة هذا الضيق ، يعلم مقدار التضحية التي ضحيت بها ، يعلم ورعك ، يعلم استقامتك ، يعلم حبك ، يعلم خوفك ، لا تظن الأمور تجري هكذا ، يقدر الليل والنهار ، يقدر كل شيء ، يقدر أنك تعففت عن هذا المال الحرام وأنت في أمس الحاجة له ، يقدر أنك ضحيت بمستقبلك القريب من أجل مستقبلك البعيد ، يقدر أنك كفت نفسك على محارم الله وأنت قادر على أن تفعل كل شيء . . .

﴿فَاتَكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

[ سورة الطور : ٤٨ ]

فكان الإسراء والمعراج هو التكریم الإلهي للنبي عليه الصلاة والسلام .

مما يلفت النظر أن الله سبحانه وتعالى يقول في مطلع سورة الإسراء :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ

مَنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[ سورة الإسراء: ١ ]

لم لم يقل ربنا عز وجل : إنه هو العليم القدير ؟ إنه هو الغفور الرحيم ؟ ما علاقة . . .

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[ سورة الإسراء: ١ ]

بالطائف ؟ أي يا محمد حينما دعوت في الطائف ، سمعنا دعاءك ، وقدّرنا الصعوبة التي مرت بها ، وقدّرنا رحمتك بالخلق ، وقدّرنا عفوك عنهم ، وقدّرنا أنك في أعلى درجات الخلق ، وأنتك

في أعلى درجات الصبر ، وأنت في أعلى درجات التضحية ، وأنت في أعلى درجات القرب ، وهذا الجواب ، هذا التكريم .

### سنة الله في خلقه :

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ والله الذي لا إله إلا هو زوال الكون أهون على الله من أن تدع شيئاً لله ، من أن تؤثر طاعته على معصيته ، من أن تؤثر رضاه على سخطه ، من أن تؤثر القرب منه على الجفوة عنه ويدعك خلف الناس ، لابدّ من أن يكرمك ، ولا بدّ من أن يرحمك ، ولا بدّ من أن يوفّقك ، لأن هذه سنة الله في خلقه . .

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ \* نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾

[سورة فصلت : ٣٠-٣١]

لو لم يكن في القرآن الكريم إلا قوله تعالى :

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة القصص : ٨٣]

لكفت المؤمنين . الأمور تدور ، وتدور ، وتدور ولا تستقر إلا على توفيق المؤمن، وعلى نصره، وعلى إكرامه ، وعلى إعزازه ، وعلى أي شيء يتمناه ، هذه القصة التي حدثت للنبي عليه الصلاة والسلام يجب أن تكون في خواطرننا ، وبين أيدينا ، مهما اشتدت الأمور الله سبحانه وتعالى يعلم ، ويقدر ، وسوف يكافئ ، وسوف يعطي عطاءً عظيماً لكل من أثر رضوانه ، ولكل من أثر طاعته .

### إعجاز الله عز وجل :

أيها الأخوة الأكارم ؛ القضية الثانية هي قد يقول قائل : كيف أسري بالنبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس في لمح البصر ؟ وكيف عُرج به إلى السماء ؟ يا أيها الأخوة الأكارم ؛ هذا موضوع انتهى منه العلماء ، هناك شيء غير مألوف في العادات ، أما الله سبحانه وتعالى الذي خلق الأسباب والمسببات ، والذي خلق المقدمات والنتائج ، والذي خلق الزمان والمكان فقادراً بالدليل العقلي على أن يخلق النتيجة بلا مقدمة ، وعلى أن يخلق المسبب بلا مسبب ، وعلى أن يخلق الشيء من دون مكان أو زمان ، وهذا من إعجاز الله عز وجل .

لأن من أنكر الإسراء كما يقول العلماء - لأن القرآن نصّ عليه بالدليل العقلي، وبالدليل القطعي كما قلت قبل قليل - فقد كفر ، لقوله تعالى :



﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ  
مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[سورة الإسراء : ١]

أيها الأخوة الأكارم ؛ يجب أن نأخذ بالأسباب ، ويجب أن نتوكل على الله ، وممنوع أن نعتمد على الأسباب ، بل يجب أن نأخذ بها ونعتمد على الله ، وحينما نفقد الأسباب كلياً لا يبقى إلا الدعاء ، والدعاء مخُ العبادة ، وأنت إذا دعوت ؛ قد يستهزئ بعض الناس فيقولون لك : ادع . أنت بالدعاء تنتصر بالله عز وجل خالق الكون . ما الذي حصل ؟ أن الله سبحانه وتعالى رفع من شأن النبي ونصره ، وقال تعالى :

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ  
وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

[سورة النصر : ١-٣]

### الفوز برضا الله عز وجل :

أيها الأخوة الأكارم ؛ الاستتباط الأخير من أحداث الإسراء والمعراج هو أن الناس كلهم لو جافوك ، الناس كلهم لو عارضوك ، الناس كلهم لو أعرضوا عنك ، الناس كلهم لو شتموك ، المهم أن يرضى الله عنك . فجفوة أهل الأرض ماذا أعقبها ؟ حفاوة السماء ، إعراض الناس عن النبي ماذا أعقبها ؟ تكريم الله للنبي ، فلذلك هذا الذي قال :

فليتك تحلو والحياة مريرةً وليتك ترضى و الأنام غضابُ  
وليت الذي بين وبينك عامرٌ وبينني وبين العالمين خرابُ  
إذا صحَّ منك الوصل فالكل هينٌ وكل الذي فوق الترابِ ترابُ

\* \* \*

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

\* \* \*

### الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيها الأخوة الأكارم ؛ تعقيبٌ قصيرٌ جداً على أحداث الإسراء والمعراج ، الإمام الغزالي رحمه الله تعالى له كلمة ، يقول : إن المحققين قالوا : لو رأيت إنساناً يطير في الهواء ، ويمشي على الماء ، وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع ، فاعلم أنه شيطان . أي إياك أن تغتر بإنسان يفعل شيئاً غير مألوف ، يفعل شيئاً فيه خرقٌ للعادات ، حتى تبقى الأمور واضحة .  
الموضوع العلمي الذي تعودتم أن تسمعوه في الخطبة الثانية ، هو حديثٌ سريعٌ عن آية من آيات الله الدالة على خلقه ، قال تعالى :

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ \* حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

[سورة النمل : ١٧-١٩]

هذه الآية في سورة النمل .

أيها الأخوة الأكارم ؛ تؤكد البحوث العلمية أن النملة من الحشرات الاجتماعية الذكية ، وقد أثبت الله لها الكلام والمعرفة . .

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[سورة النمل : ١٨]

لا يعقل أن يحطمهم سليمان وهو يشعر ، فالله سبحانه وتعالى أثبت لها الكلام والمعرفة ، فهي حشرة اجتماعية ، تموت إذا عُرِلت بمفردها عن جماعتها ، إذا وضعنا نملة في معزل عن جماعة النمل تموت على الفور ، وصُممت لتكون حشرة اجتماعية حتى لو هيأت لها أفضل الشروط . للنمل ملكة تأمر وتنتهي وتطاع ، وفي بعض مجتمعات النمل هناك عدة ملكات ، ويتم الحكم عن طريق المشاركة والشورى . طبعاً بحوث كلفت مئات الملايين ، ومراقبة طويلة ، وتجارب ، هذا ملخص بحث علمي أُجري على مملكة النمل .

أيها الأخوة ؛ النمل منها ذكورٌ للتلقيح ، وإناثٌ عقيمات تبيض بيوضاً غير مثمرة ، هذه البيوض هي غذاءٌ لذيذ ، وعاملاتٌ للخدمة الداخلية ، ولتربية صغار النمل ، ولخدمة البلاط الملكي ، ولترميم المستعمرة ، وعاملاتٌ خارجيةٌ لجني الغذاء . وللنملة جهاز هضم بسيط لكنه مثيرٌ للدهشة ؛ فيه فمٌ ، ومري ، ومعدة ، وثلاثة أنواعٍ من الأمعاء ، وفيها جهازٌ ماصٌ وضاح ، والنملة الشبعية تطعم الجائعة من رحيق غذائها ، من الغذاء المهضوم ، بإمكانها أن تعطيها غذاءً مهضوماً . وتملك النملة نوعاً من التصرف العقلاني سمّاها العلماء (غريزة) وهي كما قال الله عز وجل :

## ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾

[سورة طه : ٥٠]

وهناك وسائل اتصال مذهشة جداً بين أفراد النمل ، هناك اتصال عن طريق الروائح ، وهناك اتصال عن طريق آخر ، والنملة ترى ما لا يراه الإنسان ، وعنده حساسية ضد أشعة ضوئية قصيرة . وتملك النملة قوة اهتداء بالضوء .

والعلماء يقولون : للنمل لغة تخاطب بها بقية النمل ، هذه اللغة إما إيمائية- عن طريق الحركات - وإما كيميائية - عن طريق الروائح - وهذه اللغة تستخدمها في الإنذار المبكر. ولو سُحقت نملة لخرجت منها رائحة تصل إلى بقية النمل تُشعر بالخطر ، فلما أن يهربوا ، وإما أن يتجهوا إليها لمعاونتها .

أيها الأخوة الأكارم ؛ على كل حينما قال الله عزَّ وجل متحدثاً عن هذه الحشرات قال :

### ﴿إِنَّا أُمَّمٌ أُمَّتُكُمْ﴾

[سورة الأنعام : ٣٨]

أي مجتمع راق ، منظم ، فيه وظائف منوعة ، فيه حاجات ، فيه خدمات ، فيه مرافق . هذا كله متوافر في النمل بإلهام من الله مباشر .

أيها الأخوة الأكارم ؛

### ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[سورة النمل : ١٨]

وقال تعالى :

### ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

[سورة الإسراء : ٤٤]

وقال تعالى :

### ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّتُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾

### ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

[سورة الأنعام : ٣٨]

أيها الأخوة الأكارم ؛ أينما تحركت ، وأينما توجهت فالآيات الدالة على عظمة الله عزَّ وجل تُحاصر من كل جهة . .

وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه واحدُ

\* \* \*

## الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ،

ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودينانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك . اللهم لا تؤمننا مكر ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تتسنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمننا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبدلها بالإفتار ، ففسأل شرّ خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وذنم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولااتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

### والحمد لله رب العالمين